الكتابة التاريخية في الأندلس
ما بين القرن 4-5هـ / 10-11م
(مجالاتها، أصنافها، نماذجها)

د. عبد القادر ربوح
قسم العلوم الإنسانية – جامعة الجلفة
dr.rabouhkader@gmail.com

الملخص:

لقد شكَّلت الكتابة التاريخية في الأندلس حقلا معرفيا، ساهم في تطور المناهج وأنساقها من خلال معالجة النص التاريخي، بل قدَّمت أدوارا وقواعد للمدرسة التاريخية، وذلك من أجل إحياء التراث من خلال التأريخ للمدن والأشخاص والمذاهب، ولعل الفترة الممتدة ما بين القرن 4-5هـ/10-11م – موضوع الدراسة– مثلت نموذجا هاما في مساهمة مؤرخو الأندلس في التدوين التاريخي.

الكلمات المفتاحية:

التاريخ المحلي؛ الأنساب؛ المدن؛ الخلافة؛ الأصناف؛ المجال.

Abstract:

T*he historical writing in Andalusia was a field of knowledge, which contributed to the development of the curriculum and its patterns through the treatment of the historical texts and its types .*

I*t provided historical rules for the revival of the heritage through the history of cities, people and belives between centuries :4- 5h/10-11j..*

T*he subject of the study have been represented an important model in the contribution of the historians of Andalusia in historical writting.*

keywords:

Local history; genalogy; towns; contraversy; types; the field

مقدمـــة:

يحتل التاريخ بين فروع المعرفة الإنسانية مكاناً صدرًا، وتشغل المؤلفات فيه نسبة عالية من الكتب التي تصدر في الشرق والغرب على السواء، وإلى غاية الحرب الكونية الأولى كانت المؤلفات في التاريخ وما يتصل به من تراجم وقصص تاريخي وآثار سياسية ومذكرات تكون خُمس المكتبة العالمية، ورغم تشعب اهتمامات الناس في ضروب المعرفة والعلوم البحتة فإن كتب التاريخ لا تزال تحتل الصدارة بين المعارف العالمية[1].

وقد نال علم التاريخ من الأندلسيين كل عناية واهتمام وأصبحت الدراسات التاريخية ثمرة ناضجة، وموضع الدرس والاقبال من الطلاب في مختلف جوانبه بدءا بأيام العرب القديمة ، وظلت تُروى شفاهاً بالطريقة التقليدية، أو المدونات التي تُسجل الأحداث شهراً فشهراً، وعاماً فعاما، وتترجم للأعلام في السياسة والدين والأدب، أو تختص بتدوين الأحداث التي وقعت في بلد ما، أو لشعب ما أو لجنس ما، وانتهاء بتلك التي تبلغ قمة الرُقي، فتهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية، بل وفلسفة التاريخ[2] .

أولا – مجالات الكتابة التاريخيـــــــــــة:

في البداية لم يبتدع الأندلسيون طرقا جديدة في تأريخ تاريخ بلادهم، وانما اكتفوا بتقليد المشارقة في ذلك والسير على مناهجهم التي استمدها الأندلسيون، من الكتب التاريخية التي وصلتهم من خلال رحلتهم للمشرق، واطلاعهم عليها، فالحوليات المشرقية قلدها الانلسيون في التأريخ لبلادهم وعلى طرازها، وكذلك كتب التراجم من حيث اتباعهم نهج الطبقات أو ترتيبها على حروف المعجم[3] .

وكان لشيوع ظاهرة احتكار أهل الحديث للكتابات التاريخية في العالم الإسلامي برمته ؛ فانسحبت بالضرورة على مؤرخي الأندلس ، مما يؤكد وحدة الظواهر الثقافية . إما من كانوا غير محدثين من مؤرخي الأندلس ، كابن القوطية على سبيل المثال ، فقد غلفت كتاباتهم نزعة دينية واضحة ، حتى لقد حكم احد الدارسين الثقاة بأن الكتابة التاريخية في الأندلس " بدأت في ظل أشبه أن يكون وصاية للفقهاء والمحدثين والقصاص المشارقة "[4] .

ولم يقتصر التدوين التاريخي بالأندلس على مجال تاريخي واحد ، بل تعددت مجالاته تبعا لطبيعة المادة التاريخية، وقد كان أهمها ما يلي[5] :

أ* **التاريخ المحلي** :إن الكتابة في مجال التاريخ المحلي هو وليد الشعور بالقومية ، و تعبير صادق عن ارتباط المؤرخ ببلده و اعتزازه بوطنه ،كما أن عواطفهم المتأججة نحو الوطن جعلتهم يؤلفون المراثي والكتب الكثيرة التي تشرح سقوط الحواضر والمدن الأندلسية، رغم أن الشرق أيضا عرف سقوط حواضر كبيرة إلا أن ميزة العاطفة كانت سائدة في الأندلس ومنها سجل المؤرخون ملاحم تاريخية[6].

و يبدو أن اهتمام المؤرخين الأندلسيين بالتأليف في هذا الإطار قد برز منذ نشأة التدوين التاريخي بالأندلس ، فالملاحظ على الكتابة التاريخية ومنذ نشأتها أنها كانت تتجه نحو الاهتمام بالتأليف في مجال التاريخ المحلي ، و لذلك كان أول كتاب تاريخي لمؤلف أندلسي يتناول التاريخ المحلي و هو كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب .

و تتمثل الكتابة في التاريخ المحلي بالأندلس في كتب متعددة منها كتب الفتوح، فقلد عني مؤرخو الأندلس كغيرهم قبل كل شيء بوقائع الفتح الإسلامي للأندلس، وقد صيغ الفتح على الطريقة المعهودة في الأنحاء الأخرى ، من العالم الإسلامي لكتاب الفتوح، و التي لا تقتصر على ذكر عمليات الفتح بل تتعدى ذلك لتصبح تواريخ محلية ، فتذكر الولاة و الأمراء و سنوات حكمهم حتى زمن المؤلف.وكان من أوائل كتب الفتوح الأندلسية في إطار التاريخي المحلي كتاب الرايات لمحمد الرازي ، و الذي يبحث في التركيب القبلي لموجة العربية الفاتحة، كما ظهر نوع آخر من الكتابة التاريخية في إطار التاريخ المحلي أيضا و المتمثل في بعض القصائد التاريخية و التي تعرف بالأراجيز[7].

وقد ألَّف محمد بن موسى الرازي (ت 277 هـ / 890 م)[8] كتاب "الرايات" – وهو كتاب مفقود لم نقف إلا على شذرات منه في ثنايا من نقلوا عنه – عن فتح الأندلس وإسهام القبائل العربية في الفتح تحت رايات تلتف حولها[9].ولم يذكره سوى المؤرخ محمد بن مزين حيث قال : " لقد عثرت في مكتبة أشبيلية في عام 1078/471م ، أيام الرضى بن المعتمد ، على جزء صغير من مؤلف محمد الرازي الذي دار فيه الحديث عن دخول قوات موسى بن نصير إلى إسبانيا ، كما ورد فيه وصف لعدد من رايات العرب والقرشيين ، التي صبت في الخسرس ، وكان بينهم آل (البيوتات) ، الذين جاءوا دون أن يحملوا رايتهم . كما وصف خطر سير حملة موسى بن نصير[10].

ويوكد كلاً من الدكتور محمود إسماعيل والدكتور محمود علي مكي أن الرازي لم يكن ينتمي إلى الطبقة البرجوازية ؛ فاشتغاله بالتجارة كان ساتراً لإخفاء حقيقة مهنته ، وهي " التجسس " لحساب العباسيين والأغالبة وبني مدرار ، وبالتالي فقد كان " نؤرخ بلا خرب الذمة " وقد كشفت نصوص ابن حيان حقيقة ذلك "[11].

وكتاب الرايات – كما يتضح من عنوانه – ينم عن نظرة ضيقة ومفهوم قاصر عن التاريخ ، إلا أنه يشتمل على معلومات قيمة عن فتح الأندلس ، وكيفية دخول موسي إلى البلاد ، وفيه تفصيلات عن القبائل التي رافقته وتقسيم الأراضي ، وكيفية التعامل مع السكان المحليين[12].

كما ألَّف أحمد بن محمد الرازي : (ت 324هـ/ 936م)، و هو المؤرخ الكبير أبي بكر احمد بن محمد بن موسى الكناني (274-344هـ/ 886-956م)، وكنيته أبو بكر[13]،الذي يعتبر بحق من ابرز من كتب في المجال التاريخي من الأندلسيين ، و قد لقب بالتاريخي لكثرة مؤلفاته في هذا الحقل العلمي ، و اشتغاله بكتابة التاريخ، و المجلدات العديدة التي دونها في تاريخ الأندلس ، وكان إلى جانب ذلك أديبا و خطيبا و شاعرا[14].

و قد أسهم احمد بن الرازي كثيرا في حقل الدراسات التاريخية ، وكان له دور في ذلك عظيم ، حيث يعتبر أب التاريخ الأندلسي بحق، و إنما من أتى من بعده من المؤرخين الاندلسين ، انم يعتبرون تلاميذته ، فقد اعتمدوا بشكل كبير جدا على دراساته التاريخية ، وقد اقتصروا على نقل كلامه و ربما اختصروه[15].

و من أهم مؤلفات الرازي كتاب أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم و غزواتهم ونكباتهم ، و هو كتاب بحجم كبير ، و كذلك كتاب في صفة قرطبة و خططها و منازل الأعيان أو العظماء بها ، كما كتب موسوعة ضخمة عن انساب العرب في الأندلس بعنوان : كتاب الاستيعاب في انساب مشاهير أهل الأندلس ، الذي يقع في خمس مجلدات، و كتابا آخر عن مشاهير الموالي في الأندلس، و هو كتاب أعيان الموالي، وكذلك له تواريخ متفرقة منها : أخبار عمر بن حفصون ، وأخبار عبد الرحمان بن مروان الجليقي ، وأخبار بن قسي و التجيبيين و بني الطويل في الثغر[16].

وله كتاب في صفة قرطبة و خططها و منازل الأعيان بها ، و هو كما قال الحميدي شبيه بكتاب أخبار بغداد لأحمد أبي طاهر طيفور[17].

ورغم جهده الكبير الذي بذله الرازي في حقل التدوين التاريخي ، فإننا لا نملك كتابا واحدا كاملا من هذه الكتب ، فقد ضاعت هذه الكتب، و على الرغم من تلك الخسارة الفادحة ،فانه قد عوضت كتبه إلى حد ما ، وذلك بما قام به المؤرخون المتأخرون من اقتباس الكثير من رواياته و نصوصه في مؤلفاتهم ، و هكذا فقد حفظوا لنا معلومات جمة عن تاريخ المسلمين، و مظاهر حضارتهم خلال القرون الهجرية الأولى ، من تواجدهم على ارض الأندلس، فكانت معظم كتب الرازي المصادر الأساسية الأولى ، لكثير من المؤلفين العرب ، الذين بحثوا في تاريخ و جغرافية الأندلس[18].

أما طريقته في كتابة التاريخ فتقوم على وضع مقدمة جغرافية ، ثم تناول الأمراء واحدا بعد الآخر ، مهتما أثناء ذلك بترتيب الأحداث حسب السنين ، يعرض أحداث كل سنة ، في حكم الأمير ويختم السنة بعرض وفيات تلك السنة[19] .

كما يميّز المنهج التاريخي لأحمد الرازي هو الدقة في رصد الأحداث ، فلا يغفل أدق التفاصيل التي تبدو غير ذات أهمية في الحدث ، و كذلك الإلمام بجوانب ذات صلة بالحدث أو بالمنطقة التي يؤرخ لها[20].

ويلاحظ أن معظم أخبار الرازي عند ابن حيان فيما يتعلق بأخبار ما قبل سنة 344 هـ / 955 م ، يغلب علها نقله اياها ب " قال الرازي "[21] ، وفي مواطن أخرى " قال أحمد بن محمد الرازي "[22] ، وما جاء عن عيسى فإنه يشير الى ذلك صراحة[23].

كما تناول الرازي الجغرافيا على أنها علم متمم للتاريخ ، حيث أن جغرافيتها الباقية بين أيدينا، هي في الغالب مقدمة لكتابه الكبير في التاريخ المسمى أخبار ملوك الأندلس ، و ذلك لان القطعة الباقية منها ، في ترجماتها إلى البرتغالية و الاسبانية القديمتين ، تستطرد بعد وصف الأندلس ، إلى الحديث عمن ملكه و من دخله من الشعوب الإسلامية[24].

ولم يكتف بأن أرخ للجغرافية الطبيعية للأندلس ؛ بل عمد إلى " القسم الأهم ، وهو الجغرافية السياسية والبشرية ؛ فقسم الأندلس إلى كور ومدن .

و لكن هذه المؤلفات بقيت مجرد عناوين احتفظت بها كتب التاريخ الأندلسية كإشارات لمصادر مادتها التاريخية ، فالحميدي الذي بين في مقدمة كتاب استعانته بكتب الأولين من مؤرخي الأندلس ، ويذكر منهم أحمد الرازي باسم احمد بن محمد التاريخي[25].

و خلف احمد الرازي ابنه عيسى الرازي ت379هـ /981م،وهو يمثل آخر أفراد أسرة الرازي ممن عنوا بكتابة تاريخ بلادهم ، وكان عيسى " عالما بالآداب تاريخيا ذاكرا للأخبار " [26] .

الذي ورث عن أبيه المهارة في دراسة التاريخ ، إلى جانب تمكنه في الأدب ، و نظرا لمكانته العلمية و لأبيه قبله ، قربه إليه الخليفة الحكم المستنصر ، و شجعه على التأليف ، فألف له كتابا ممتعا في التاريخ ، و بعد وفاة الخليفة المستنصر، وتولي الحاجب المنصور الأمور في الأندلس ، ألف عيسى الرازي للمنصور كتابا في الوزارة و الوزراء ، وكتابا آخر عن الحجاب، ومن مؤلفاته كتاب التاريخ المسمى " الموعب " [27] لأنه استوعب فيه تاريخ الأندلس حتى عصره[28] .

وامتاز أسلوبه بالدقة المتناهية ، وظهر ذلك بكيفية تناوله للأحداث في رواياته ، فلديه اهتمام عال بالزمان في رواياته ، وهو يأتي على ذكر تأريخ الحدث بالسنة والشهر واليوم ووقته في ذلك اليوم فيقول مثلا عند تأريخه لسنة حكم الداخل (183-172هـ):" هروب عبد الرحمان الداخلمن المشرق إلى المغرب ، ومفاوضاته مع أهل الأندلس وبيان الأوضاع السياسيةالداخلية فيها ، وغزوة الداخل لأهل اشبيلية و اخضاعهم سنة 156هـ/773م ... و شعر للأمير الداخل في نخلته، تاريخ ولايته ، وتاريخ وفاته "[29].

وفي حوادث سنة 325 هـ / 936 م يقول : " ففتح الناصر لدين الله لقلعة ايوب[30] يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان ... عشي هذا النهار "[31] .

ولم يكن يؤرخ لإسبانيا الإسلامية وحسب ؛ بل تناول كذلك تاريخ إسبانيا المسيحية وعلاقتها بالدولة الأموية ، وتعرضه لأخبار العدوة المغربية ، ويؤكد ذلك ما نقله عنه ابن حيان في المقتبس[32].

وقد برز في القرن الرابع للهجرة ابن القوطية ت 367هـ / 977م، وهو العلامة اللغوي المؤرخ أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ، المعروف بابن القوطية ت 367هـ /977م، و لد في قرطبة و درس فيها و في اشبيلية ، و كان عالما بالنحو و اللغة متقدما فيهما على أهل عصره ، حافظا لأخبار الأندلس، ملما برواية سير أمرائها و أحوال فقهائها و شعرائها، و كان يملي ذلك عن ظهر قلب[33].

أما عن أهم مؤلفاته فإلى جانب كونه كان ضليعا في العلوم الفقهية و اللغوية ، وله في ذلك كتاب في النحو يعرف بكتاب الأفعال، ولابن القوطية في مجال التأليف التاريخي مصنف اسمه : تاريخ افتتاح الأندلس ، الذي يتناول الكلام فيه عن تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية إمارة الأمير الأموي عبد الله بن محمد أي إلى سنة 299هـ/910م ، و يغلب على ظن معظم المؤرخين أن الكتاب ليس من إنشاء ابن القوطية نفسه ، و إنما هو اقرب أن يكون سماعا دونه عنه بعض من كان يحضر دروسه من المولعين بالأخبار[34].

ونظرا لانتساب ابن القوطية إلى الأسرة القوطية الحاكم قبل دخول العرب إلى الأندلس، فقد أورد أحداثا كثيرة عن القوط ، لاسيما ارطباس ابن غيطشة، و علاقاته مع كبار الشخصيات العربية امثال الصميل بن حاتم الكلبي ، حيث يظهر العرب في صورة الجهلاء الاجلاف، و يصور ارطباس القوطي في صورة الرجل ذي المواهب العظيمة و الخلق الحميد ، كما انه تحدث عن الثائرين على العرب من الأصول الاسبانية ، فضلا عن ذلك فهو باعتباره من موالي بني أمية فهو لا يخفي ميله نحوهم ، و الإشادة بهم[35]. و لذلك يظهر ميل المؤلف في هذا الكتاب لهذه الأسرة و حيث يورد أحداثا كثيرة عن القوط ، ولاسيما الأمير القوطي ارطباس بن غيطشة ، وعلاقاته مع كبار الشخصيات العربية ، أمثال الصميل بن حاتم و الأمير عبد الرحمان الأول ، و هذا بطبيعة الحال له أهمية كبيرة[36].

وعلى الرغم من ذلك فان هذا الكتاب له قيمة تاريخية هامة ، ذلك ما تميزت به رواياته بأنها تتضمن عنصرا قوميا أندلسيا ، وهي ظاهرة على جانب كبير من الأهمية نظرا لتعدد الأجناس التي كانت تعيش في الأندلس في ذلك العصر ، و قد أهمل هذه الناحية بقية المؤلفين الذين كتبوا عن تاريخ الأندلس[37].

وقد تنوعت هذه المعلومات على قلتها فقدمت لنا أخبارا عن طبقات المجتمع الأندلسي المختلفة سواء العرب أم الأسبان أم غيرهم [38] ، وقد اتسم أسلوبه بالانتقائية والإيجاز وقد يعتذر عن ذكر بعض الحوادث التي لا يحسن برأيه ذكرها[39] .

وكانت كتاباته التاريخية الأخرى فقد عرفت جزئياً من خلال روايات الزبيدي وابن حيان وعياض اليحصبى وابن الخطيب ، وبرغم تفرده بمعلومات حول فتح الأندلس والأحداث التي أعقبته وبعض أخبار المغرب ؛ إلا أن الكثير منها تلونت بالتعصب القومي نظراً لأصله القوطي باعتباره مالكي المذهب . وقد لوحظ ذلك في المعلومات التي أوردها عن ثورات الخوارج ، وحمل عليهم حملة شعواء[40].

كما يلاحظ ومن خلال أسلوب الكتاب انه ليس من إنشاء ابن القوطية ، وإنما هو اقرب ان يكون سماعا ، أي أن ابن القوطية قد روى ، أو أملى كتابه هذا على احد تلاميذه ، وأن أحد سامعيه قام بتدوينه بأسلوبه الخاص، ويدل على ذلك ورود عبارة قال ابو بكر ، أو قال شيخنا أبوبكر[41].

لقد كتب الأندلسيون عن التاريخ المحلي كثيرا ، ولكن الجانب الكثير مما كتبوه عن أنفسهم خلال هذه الفترة قد ضاع ، فقد ألف الأندلسيون في تاريخ بلادهم عدة مؤلفات ، ولكن لم يبق منها إلا اسمها أو أطراف يعثر عليها قطعا في المكتبات[42].

ب* التاريخ الإقليمي :و يقصد بها المؤلفات التاريخية التي تقتصر على تاريخ مدينة من مدن الأندلس أو إقليم من أقاليمها ، فقد ازدهر هذا النوع من الكتابة بشكل خاص خلال فترة النهوض السياسي و التطور الثقافي ، أو خلال فترة الخلافة الأموية بالأندلس، حيث بدأت تظهر بعض التصانيف و التي تتناول التاريخ السياسي أو الثقافي أو أي جانب من جوانب الأخرى لإقليم من أقاليم الأندلس[43].

و قد عني هذا الاتجاه بالتأريخ للمدن الأندلسية المختلفة ، وقد لاقت هذه المدن اهتماما عاليا من مؤرخي الأندلس ، و توفرت مادة تاريخية غنية حول المدن الأندلسية حذت بالمؤرخين أن يدونوها ، وقد تعصب أهل المدن لمدنهم وسجلوا تاريخها و دفعهم إلى ذلك الإدارة اللامركزية التي اتسمت بها الإدارة الأموية على المدن[44].

وحظيت قرطبة باهتمام المؤرخين فألف احمد الرازي موسوعته الضخمة الموسومة بصفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها ، و قد علق الحميدي على ذلك مقارنا بينها وبين تاريخ بغداد بقوله: " على نحو ما بدأ به أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد "[45].

ففي اشبيلية مثلا اشتهر الإخباري محمد بن زكريا بن الطنجية كعالم بأخبار مدينته ، كما دون اشبيلي آخر هو محمد بن عبد الله القرشي الفهري تاريخ مدينته ، كما ألَّف مطرف بن سعيد الغساني ت 356هـ كتابا في فقهاء البيرة ، و آخر شعرائها، ثم تجاوز هذا الإطار المحدود ليؤلف كتابا آخر للحكم الثاني بعنوان المعارف في أخبار البيرة و أهلها و أقاليمها و غير ذلك من منافعها[46].

كما يدل ظهور هذه المؤلفات و غيرها التاريخية و التي كانت تأتي في مجال التاريخ الإقليمي خلال فترة الخلافة على انه كان للخلفاء الأمويين دور في تشجيع المؤرخين الأندلسيين للكتابة في هذا المجال ، إلا أن اغلب هذه المؤلفات مفقودة الآن.

ج* التاريخ العالمي : لم يقتصر الأندلسيون في تدوينهم التراخي على تاريخ بلدهم فقط أو إقليم من أقاليمه ، بل أنهم ألفوا حتى في مجال التاريخ العالمي ، فقد كان أول كتاب تاريخي أندلسي في مجال التاريخ العالمي هو كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب، وهذا دليل على أن الأندلسيين قد وضعوا مؤلفات تاريخية في هذا المجال[47].

ولكن الذي يلاحظ أن الكتابة في مجال التاريخ العالمي خلال فترة الحكم الأموي لم يكن واسع الانتشار، حيث يعد كتاب التاريخ من المحاولات الأولى للكتابة في مجال التاريخ العالمي ليس على مستوى الأندلس فقط ، وإنما على مستوى الكتب التاريخية في العلم الإسلامي بشكل عام ، فهذا الكتاب قد سبق ظهوره حتى أشهر الكتب التاريخية و التي تأتي في إطار التاريخ العالمي مثل تاريخ الطبري ت 310هـ / 922م وغيره، وربما تكون هناك مؤلفات تاريخية أندلسية أخرى ، تأتي في هذا الإطار خلال عصري الإمارة و الخلافة إلا أنها فقدت كما فقد غيرها من الكتب[48].

ومن خلال ما سبق يتضح أن الأندلسيين وضعوا مؤلفات في مختلف المجالات التاريخية ، و لذلك لم يختلف تدوينهم للتاريخ عن التدوين التاريخي بالمشرق ، وان اختلفت المواضيع ، وان كان تركيز على تدوين التاريخ المحلي ، و هذا أمر طبيعي نتيجة لتأثير الطبيعة و الروح الوطنية على المؤرخ الأندلسي الذي سخر كل جهده خلال هذه الفترة لجمع الأخبار التاريخية وتدوينها[49].

ثانيا –أصناف الكتابة التاريخية :

أصبح التاريخ منذ الطبري أكثر فنون الآداب رواجًا في العالم الإسلامي خلال الأجيال التالية.كما شهدت الأندلس نهضة علمية وفكرية كبرى؛ نتيجة التراكم المعرفي والتنافس الثقافي، وتعاظم الرحلة في طلب العلم؛مواكبة للاتصال التجاري المتعاظم بين الأندلس وسائر أقاليم دار الإسلام،وبديهي أن يتأثر الفكر التاريخي الأندلسي بتلك الموارد التاريخية لثلة من المؤرخين النابهين لم تشهد الأندلس لهم مثيلاً من قبل ولا من بعد، فتنوعت موضوعات علم التاريخ لتطرق الميادين التقليدية،من تواريخ عالمية وإقليمية وسير وطبقات وتراجم ومغازي .

لقد تعددت أشكال الكتابة التاريخية تبعا لطبيعة المادة التاريخية و لثقافة المؤرخ ، و كانت من بين أشكال الكتابة التاريخية التي برزت في الأندلس خلال فترة الحكم الأموي ما يلي :

أ* كتاب التاريخ العـــــام :إن التأليف في التاريخ العام هي احد أشكال الكتابة التي ظهرت في الأندلس ، وخاصة عندما بدأ الاهتمام بتدوين التاريخ السياسي للبلاد ، و قد كان أولى الكتب التاريخية ، و التي تأتي في إطار كتب التاريخ العام كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب ، فهو أشبه ما يكون بتاريخ الرسل و الملوك للطبري و الذي يعد من كتب التاريخ العام ، أو الحوليات التاريخية ، وقد ازدهرت الكتابة في التاريخ العام و بشكل خاص في تاريخ الخلافة ،و خاصة بعد الاهتمام بالتسلسل الزمني للأحداث ، ويبدو أن السبب ذلك يعود لتراكم المادة التاريخية بالأندلس، ولذا شرع المؤرخون الأندلسيون خلال هذه الفترة في التدوين التاريخي ضمن هذا الإطار ، ولكن من أشهر من كتب في صورة التاريخ العام أو الحوليات التاريخية أحمد الرازي ، حيث وضع كتابا في التاريخ العام بالأندلس بدء من الفترة الأسطورية أي ما قبل الرومان ، فالقوطي[50] فالإسلامي، و قد اعتد عليه المؤرخون الأندلسيون في العصور التالية، وعبر تحت البحر إلى المشرق حيث اعتمد عليه ابن الأثير فيما كتبه عن تاريخ الأندلس[51] .

ويلاحظ أن هذه الكتب تأتي في إطار التاريخ العام الذي يرتب الحوادث على السنين خلال فترة طويلة ويتناول بعض الشخصيات البارزة كالأمراء والوزراء وغيرهم، كما اشتهر المؤرخ عريب بن سعد بكتاب له في التاريخ العام، على السنين وصل به تاريخ الطبري بأخبار عن المشرق وضمنه أخبار عن المغرب والأندلس أيضا، ومن كتب التاريخ العام كتاب أخبار مجموعة لفتح الأندلس وذكر أمرائها لمؤلف مجهول، كما كان من كتب التاريخ العام كتاب في تاريخ بني مروان بالأندلس ألفه المؤرخ معاوية بن الشابنصي، مما تقد يتضح أن هذه كانت بعض المؤلفات التاريخية التي جاءت في إطار التاريخ العام والتي يلاحظ أنها لم تختلف عن كتب التاريخ العام بالمشرق[52].

ب* الطبقات والتراجم: (تاريخ الرجال): ويقصد بكتب الطبقات والتراجم الكتب التي عالج مؤلفوها سير طائفة معينة كالفقهاء، والقضاة ، أو الأدباء وغيرهم جيل بعد جيل ، أو طبقة بعد طبقة [53].

ولقد اتجه عدد من مؤرخي الأندلس للتأليف في التراجم ، وقد قام أول الأمر على أيدي الفقهاء ، وقد تمثلت بداية التأليف في هذا الإطار في ظهور كتب تسمى الفضائل ، وهي مكرسة لمالك بن انس ، و قد كتبها بعض تلاميذته و على رأسهم يحيى بن يحيى الليثي ، وذلك بهدف دراسة خصائص ومميزات شخصيته ، وهي بمثابة بداية لظهور فن التراجم .

كما تمثلت بداية ظهور التراجم باهتمام المؤرخين الأندلسيين بكتابة أخبار بعض التابعين الذين دخلوا الأندلس مثل موسى بن نصي و غيره ، وقد سبق الإشارة و عند التطرق للمحاولات الأولى للتدوين التاريخي أن بعض مؤرخي عصر الإمارة قد وضعوا مؤلفات في تراجم معينة من الرجال كالكُتاب و الشعراء و الفقهاء ، فقد كان من بين أول من دونوا سير الكتاب فرج بن سلام ، أما المؤرخ أو الإخباري عثمان بن ربيعة ت 310هـ/922م فقد دون مجموعة تراجم تظم أخبار شعراء ، وتجدر الشارة أن محمد بن عمر بن لبابة كان من بني المهتمين بتراجم الفقهية (كما سبق الحديث عنه)[54] .

أما في عصر الخلافة فقد اتسعت دائرة المؤلفين في مجال التراجم حيث ظهرت خلال هذه الفترة معاجم التراجم ، و قد تركز الاهتمام الأساسي على الفقهاء المحدثين حيث خصص لهم عدد كبير من المعاجم لمجموعات التراجم والتي كانت ضرورية عند دراسة الأحاديث ، وقد كان من بين الكتب في التراجم خلال هذا العصر خالد بن سعد مؤلف كتاب في رجال الأندلس ، كما ألف أحمد بن محمد بن عبد البر ت 338هـ/950م لمولاه الأمير عبد الله بن عبد الرحمان الناصر كتابين بأمر منه ، كتاب في الفقهاء بقرطبة يحتوي على تراجم الفقهاء و الشيوخ و القضاة و الأئمة خلال الفترة بين أواسط القرن 2هـ و حتى عهد الخلافة عبد الرحمان الثالث ، وكتاب القضاة عن رؤساء قضاة قرطبة في الفترة ذاتها ، كما ظهرت خلال هذه الفترة أيضا كتب تختص بطبقات الفقهاء مثل طبقات الفقهاء لعبد الملك بن حبيب، وعن طبقات الوزراء و الحجاب و الشعراء والكتاب و الأطباء و غيرهم من ذلك ، مثلا ما ألفه الزبيدي عن طبقات اللغويين و النحويين ، وما ألفه عيسى الرازي عن الوزارة و الوزراء، كما خصص كتاب للحجاب[55].

ومن خلال التأريخ لهم صور المؤرخون لنا كثافة الحركة الثقافية في الأندلس ، وقد تعددت المؤلفات التي عنيت بالتأريخ للرجال في الأندلس ، و لن نقوم هنا برصد كل من ألف في ذلك ، إنما نشير إلى أهم من قام بتأليف في هذا المجال، إذ أنه برز العديد من المؤرخين ممن عنوا بالرجال سالكين التأريخ في ذلك على منهجين ، منهج الطبقات ، ومنهج الترتيب على حروف المعجم[56].

فعمد أصحاب المنهج الأول إلى ترتيب التآليف على منهج الطبقات ، فألف محمد بن هشام الاقشتين ت 309هـ/921م كتابا في طبقات الكتاب ، و ألف عبد الله بن محمد بن أبي ديلم ت 350هـ/962م كتاب الطبقات فيما يروى عن مالك و أتباعهم من أهل الأمصار، وألف سليمان بن حسان و يعرف بابن جلجل ت 372هـ/982م كتاب طبقات الأطباء و الحكماء كرسالة رد بها على تساؤل احد الأشراف الأمويين الذي سأل ابن جلجل عن أول من وضع صناعة الطب فتكلم

فيها من بدء الطوفان و من بعده ، وفي أي زمان كان كلم متكلم منه ، و اتبع ابن جلجل في ترتيبه لكتابه نظام الطبقات ، حيث قسم كتابه إلى تسع طبقات، وختمها بالحديث عن أهل الأندلس[57].

ومن بينهم محمد بن حارث الخشني(ت 361 هـ/971 م)[58]: وقد عاش السنوات الأولى من حياته في القيروان، ثم انتقل إلى الأندلس بدعوة من الخليفة المستنصر، وهو لم يتجاوز الثانية عشر، ونزل بقرطبة، وتتلمذ على كبار علمائها، وقد وصفت بعض المصادر هذا المؤرخ ، قال عنه صاحب جذوة المقتبس بأنه من أهل العلم والفضل، فقيه محدث، روى عن ابن وضاح و غيره [59].

وقد قال المستشرق الأسباني آنخل بالنثيا عن صاحب كتاب قضاة الأندلس: " إن أخبار هذا الكتاب موضوعة في قالب من الواقعية لا يبلغ إلى تصويرها كتاب غيره من كتب التاريخ[60] ، ورغم أن صاحبه لا يبدى رأيه في الأحداث ، ولم يكن إلا ناقلاً للأخبار مسجلاً لها غير مدقق في تسجيله هذا وفى انتقائه للروايات الصحيحة منها ، وكثيراً ما يستخدم ألفاظاً تشير إلى عدم الدقة مثل : حكى بعض الرواة الأخبار ، وذكر بعض أهل العلم ، أخبرني من أثق به[61] ، إلا أن كتابه قضاة قرطبة احتوى على عديد من سلبيات ونقائص المجتمع الأندلسي.

أما عن مؤلفاته فمنذ أن انتقل الخشني إلى الأندلس استطاع أن ينمي ثقافته اللغوية و الفقهية ، وان يوطد علاقته بالحكم المستنصر ،ولذي صنف له كثيرا من الكتب ، كان من بينها كتاب الفتيا وكتاب تاريخ الاندلسيين ، و كتاب تاريخ الإفريقيين ، وكتاب الاتفاق و الاختلاف في مذهب مالك ، وكتاب النسب ، وقال ابن الفرضي بلغني انه صنف للحكم المستنصر مائة ديوان، وقد جمع له في رجال الأندلس كتاب ، كما أشار الحميدي إلى أنه جمع كتابا في أخبار القضاة بالأندلس ، وكتابا آخر في أخبار الفقهاء و المحدثين[62].

وقد ألف كتابه قضاة قرطبة احتوى على عديد من سلبيات ونقائص المجتمع الأندلسي، كما استطاع أن ينمي ثقافته اللغوية و الفقهية ، وان يوطد علاقته بالحكم المستنصر ،ولذي صنف له كثيرا من الكتب ، كان من بينها كتاب الفتيا وكتاب تاريخ الأندلسيين ، و كتاب تاريخ الإفريقيين ، وكتاب الاتفاق و الاختلاف في مذهب مالك ، وكتاب النسب ، وقال ابن الفرضي بلغني انه صنف للحكم المستنصر مائة ديوان، وقد جمع له في رجال الأندلس كتاب.

و يعتبر كتابه قضاة قرطبة من أهم كتب التراجم التي ظهرت في القرن الرابع للهجرة / العاشر ميلادي ، وخاصة فيما يتعلق بدراسة الحياة الاجتماعية في الأندلس في العصر الأموي ، مما يدل على أن هذا المؤرخ كان على إلمام و دراسة لما كان يدونه من معلومات[63].

و عمد أصحاب المنهج الثاني إلى ترتيب تآليفهم على حروف المعجم، فألف ابن عبد البر ت 338هـ/949م تاريخا في الفقهاء و القضاة ، ويظهر أن تاريخه قد اقتصر في تناول رجال الأندلس، فقد استمد منه القاضي عياض تراجم لأهل الأندلس وحسب ، ولم يرد لديه تراجم لغيرهم[64].

و ألف مسلمة بن القاسم القرطبي ت 353هـ/964م التاريخ الكبير ما روى الكبار عن الصغار ، و كان قد رحل للمشرق واعد لبلده بعلم كثير ، و ألف محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج ت 380هـ/990م تاريخا في الرجال جمعه للحكم المستنصر ، وكان حافظا بالحديث بصيرا بالرجال ، رحل إلى المشرق سنة 337هـ/948م ، وعاد إلى وطنه سنة 345هـ/965م ، وقد عول عليه ابن الفرضي كثيرا [65].

ومن الذين مثلوا هذا المنهج أيضا ابن الفرضي حافظاً عالماً كلفاً بالرواية ، رحل في طلبهما ، وتبحر في المعارف بسببها ، مع حظ وافر من الأدب كثير ، واختصاص بنظم منه ونثير"[66].

وقد لاقى كتابه الشهير " تاريخ علماء الأندلس " اهتماما كبيرا من الأندلسيين منهم ابن بشكوال وابن حيان ، وقد وبين في مقدمة الكتاب أن مؤلّفه يضم عدداً كبيراً من فقهاء الأندلس وعلمائها ، ورواتها ، وأهل العناية بالعلم منهم مرتبين على حروف المعجم[67] .

وقد رتب مؤلفه حسب حروف الهجاء إذ بدأ بحرف الألف وانتهى بحرف الياء حسب الأبجدية المشرقية ، حيث ذكر تحت كل حرف أسماء العلماء من أهل الأندلس مرتبين حسب الحرف الأول من الاسم فقط ، ففي حرف الألف بدأ بإبراهيم وانتهى بأيوب وهكذا ، وحينما ينتهي من ذكر الرجال في كل حرف يذكر الأفراد ، والغرباء من الحرف المتقدم وهذا المنهج هو المعمول به عند الأندلس في تلك الفترة[68] .

أما عن مؤلفاته فقد اهتم ابن الفرضي بشكل أساسي بتراجم الأعلام ، وقد وضع كتبا كثيرة مثل تاريخ شعراء الأندلس ، وكتاب أخبار شعراء الأندلس، فيما جمع في المؤتلف و المختلف ، إلا أن شهرة ابن الفرضي قد ارتبطت بمعجمه تاريخ العلماء و الرواة للعلم بالأندلس أو تاريخ علماء الأندلس ، وهو عبارة عن تراجم لعلماء الأندلس حتى عصره ، أي منذ الفتح الإسلامي وحتى إلى غاية القرن الرابع للهجرة ، وهو أقدم معجم رجال عام وصل إلينا يذكر فيه أخبار و سيرهم وبلدانهم و أنسابهم ومواليدهم ووفياتهم بصورة مختصرة ، ويحتوي على 1651 ترجمة لمختلف علماء الأندلس، وقد رتبت فيه المواد هجائيا حسب تواريخ الوفاة من الأقدم إلى الأحدث ، وقد دونت في الترجمة المعلومات المتمثلة في الاسم ومحل الولادة ومكان الإقامة وأساتذة المترجم لهم ، ورحلاته ، ومؤلفاته التي وضعها و تاريخ الوفاة ، فضلا عن بعض المعلومات الأخرى[69].

و الملاحظ أن كتاب التراجم التي وضعها ابن الفرضي من أهم المصادر الأندلسية لدراسة كثير من جوانب التأريخ العلمي و الثقافي للأندلس، خلال فترة الحكم الأموي ، وذلك لما يحتويه من معلومات قيمة ، كما ترك هذا الكتاب أثرا كبيرا على المؤرخين الذين جاؤوا بعده ، حيث وضع أحد تلاميذه و هو القرطبي أبو بكر بن مهلب ت 450هـ /1072م تعليقا و إضافة لمؤلف ابن الفرضي بعنوان تعليق على تاريخ ابن الفرضي و استلحاق[70].

وهكذا يمكن القول إن كتاب ابن الفرضي لم يعد من أهم المصادر التاريخية العربية الأندلسية ، وذلك من حيث مادته ومنهجه ،كما يعطي صورة واضحة لمدى التطور الذي وصل إليه التدوين التاريخي خلال القرن الرابع للهجرة / العاشر ميلادي ، وقد توفي هذا المؤرخ قتيلا سنة403هـ/1015م[71] .

ج* الأنســـــــــاب :

يقصد بكتب الأنساب الكتب التي تجمع تراجم و سير أشراف العرب حسب أنسابهم ، وقد وجدت الكتابة في الأنساب مجالا خصبا بالأندلس نظرا لدخول الكثير ن القبائل العربية إلى هذه البلاد ، واختلاطها و احتمال ضياع أنسابها.

لقد اتسع انتشار دراسة علم الأنساب في الأندلس بعد إعلان الخلافة ، وقد أيد خلفاء الأندلس هذه المؤلفات لما تحققه من استقرار، وتوثيق للأنساب، حيث اتجه عدد من مؤرخي الأندلس للتأليف في هذا المجال، وقد قيل بأن الحكم ألف شخصيا في الأنساب حيث كان يعتني بكتابة نسب المؤلف و مولده ، وتاريخ وفاته ، وقد سجل كثيرا من انساب أهالي بلاده ، وكان ثقة فيما ينقله ، ومما يؤكد ذلك أن الحكم المستنصر كان من أهم مصادر أشهر المؤرخين الأندلسيين خلال هذه الفترة كعيسى الرازي و غيره[72].

و قد طالت رعاية المستنصر لعلماء الأنساب ، فقد ألف علي بن الحسين أبو الفرج الاصبهاني ت 356هـ/966م للحكم كتابا أنساب قومه بني أمية بمناقبهم وأسماء رجالهم ، فأحسن فيه جدا ، و خلد لهم مجدا و أرسل به إلى قرطبة ، وأنفذ معه قصيده حسنه من شعره يمدحه بها ، و يذكر مجد بني أمية و فخرهم على سائر قريش ، ومما ألفه أيضا كتاب نسب بني عبد شمس و كتاب أيام العرب فيه 1700يوم ، وكتاب التعديل و الإنصاف في مآثر العرب و مطالبها ، وكتاب نسب بني كلاب ، وأصبحت هذه الكتب مصدرا يعتمد عليه المؤرخون فالبكري ت 487هـ/1094م يقول في ختام نقله :" هكذا نقلته من كتاب النسب للاصبهاني نسخته التي بعث بها إلى الخليفة رحمه الله"[73] .

د* كتاب الأشعار (الأراجيز) : و لقد تمكن الأندلسيون من تسجيل تاريخ سقوط مدنهم في ملاحم شعرية أو كتب تاريخية ولما تعرضت بلاد الأندلس للأزمات الاقتصادية وأصابتها المسغبة والفساد، أدى إلى تقلص حالة العمران ونضوب الموارد الاقتصادية وفقدت الأندلس الأمن،وانتشر الجبن

والخور في نفوس سكان الثغور، كما ذهب إلى ذلك ابن عذاري وغيره، وأصاب –أهل بلنسية– بلاء شديد بعد معركة الزلاقة إذْ غلت الأسعار غلاء فاحشاً،وقلَّ الطعام حتى أكل الناس دوابهم، وأكلوا الفئران والكلاب والجيف، وبلغ بهم الجهد أن أكلوا موتاهم. وقد ألف ابن علقمة كتابًا مثيرًا عن حصار بلنسية وجرائم السيد القومبيطور(*El Cid Campeador*)" يبلي القارئ ويذهل العاقل"،لقد كتب مأساة بلنسية بالأخص مؤرخ بلنسي وهو شاهد عيان للحوادث، وهو أبو عبد الله محمد بن خلف الصفدي المعروف بابن علقمة الذي ولد ببلنسية في سنة (428هـ/1037م).لقد سجل ابن علقمة البلنسي كيف انتشر قطاع الطرق في كل مكان، وتفاقم سوء الحال بعد أن أدرك الفساد ملوك الطوائف، حيث كان هؤلاء المستبدون عالة على رعيتهم، وبالا على دولة الإسلام في الأندلس، لهذا جاء المرابطون لإنقاذ الأندلس من الكرب والبلاء. قال المراكشي واتصلت حال أمير المسلمين يوسف في إيثار الغزو، وقمع ملوك الروم، والحرص على ما يعود بالمصلحة على جزيرة الأندلس، ولم يزل أصحاب يوسف بن تاشفين يطوون تلك الممالك مملكة مملكة، إلى أن دانت لهم الجزيرة بأجمعها، فأظهروا في أول إمرتهم من النكاية في العدو، والدفاع عن المسلمين، وحماية الثغور، ما صدَّق بهم الظنون، وأثلج الصدور، وأقرَّ العيون، فزاد حب أهل الأندلس لهم واشتد خوف ملوك الروم منهم[74].

إن ضياع كتب ابن الصيرفي، والسالمي وابن علقمة،وعبد الرحمن بن موسى مؤرخ الثغر الأعلى قد ترك فراغًا كبيرًا في أدبيات المرابطين التاريخية، ولم نعلم أخبارهم إلا من خصومهم ومؤرخيهم ابن القطان، عبد الواحد المراكشي.توفي ابن عقلقة ببلنسية في نهاية سنة 509هـ/1115م وقيل بدانية،وكان أديبًا شاعرًا، وقد هزته الحوادث والخطوب المفجعة التي مرت بوطنه بلنسية والتي شهدها عن كثب، فألف تاريخًا لحوادث عصره، ولاسيما تغلب السيد على بلنسية، وما اقترف بها السيد الخليع المجرم من مآسي أو كما يقول ابن الآبار إنه "ألف تاريخًا في تغلب الروم على بلنسية" سم" البيان الواضح في الملم الفادح" وذلك قبل سنة 500هـ/1106م.ويبدو أن ابن علقمة قد تطرق إلى تاريخ الفترة المرابطية بصفة عامة، حيث يشير صاحب الحلل الموشية قال، قال: محمد بن الخلف في البيان الواضح"ومما سلى النفوس كل التسلية، وأطفأ نار الرزية، ما كان من نظره الجميل، ورأيه الأصيل، من تولية الأمر في حياته لابنه الأمير أبي الحسن، ذي العقل الرصين، والرأي الحسن[75].

إن تاريخ ابن علقمة وكل من أرخ لإقليمه بالأندلس ظاهرة أندلسية، فقد تفرد عرب سرقسطة بأنفسهم، كما تميز عرب تدمير بمرسية عن غيرهم، كما ظهرت مناطق عربية ذات شخصية مستقلة ظاهرة العروبة مثل أُورش اليمن، ومناطق ذات شخصية بربرية كهذه التي نجدها في تاكرنا ورندة، وذلك كله جعل الأندلس مجموعًا من الأقطار لكل منها حاضرته، لا قطرًا واحدًا ذا قاعدة واحدة، وهو ما يفسر ظاهرة التفكك السياسي الغالب عليها في غياب حكومة مركزية قوية توحد الأقطار والأقاليم، أو إمكانيات اقتصادية وعسكرية تدافع عنهم خطر نصارى الشمال.كما يبرز ظاهرة المؤلفات المحلية الخاصة بهذه الحواضر والمدن الأندلسية، وفي هذا أبدع ابن علقمة وغيره من رجال الأندلس الذين أرخوا لمدنهم.وللتنويه أن أديبًا صقليًّا معاصرًا لابن بسام وابن علقمة، أصله من شنترين، هو علي بن جعفر بن علي الشنتريني السعدي الصقلي، المعروف بابن القطاع(ت515هـــ/1121م)، صنف هو الآخر ديوانًا سماه" كتاب الدرة الخطيرة من شعراء الجزيرة" جمع أشعار الصقليين في فترة مضطربة شبيهة بفترة ملوك الطوائف بالأندلس[76].

ثالثا : نماذج من الكتابة التاريخية مابين القرن 4-5هـ/10-11م:

أ* عريب بن سعد (ت 370 هـ /980م) : و قد كان قرطبياً من أصل نصراني[77] ، وقد أسلم أباه.و عاش عهود الخلفاء عبد الرحمن الثالث ، والحكم الثاني ، وهشام الثاني ، وكما ورد عن يونس بويغس يعتبر تأريخ وفاته حوالي عام 370هـ / 980 م [78] .

وينتمي عريب إلى عائلة مولى بنو تركي ، وكان من أكبر الشخصيات المسئولة في إدارة الخلافة ، وقد عينه عبد الرحمن الثالث عام 331هـ / 942م حاكماً على (سيخا) وفى عهد الحكم الثاني كان أحد أمناء سره أما في آخر أعوام حياته فقد كان من بين حجاب هشام الثاني ، المصحفي ، وابن أبي عامر .

وتميز بسعة اطلاعه الأدبي ، وهذه الصفة من صفات كتاب الخليفة ، وكان ينظم الشعر ، كما كان إلى جانب ذلك كله طبيباً ، وألف عدداً من الكتب في الطب ، وقد برز بشكل خاص بمعارفه (المكتملة) كما تشير المصادر ، في مجال التأريخ ولُقب بـــ (إخباري) و (تأريخي) ،وهو في 96 صفحة . وهو ذيل لتاريخ الطبري السالف بدأه بسنة 291 هـــ/904م ، وذكر ما دار في هذه السنة من أخبار بني العباس ، وانتهي بسنة 320 ه/931م[79]ـــ

ب*ابن حيان ت 469هـ/1081م : أما أعظم مؤرخ عرفته الأندلس في تاريخها الحافل ، فهو بلا ريب المؤرخ الكبير ابن حيان بن خلف بن حسين بن حيان، وهو أبو مروان القرطبي ت 469هـــ/1081م ، سيد مؤرخـــي الأندلس، كان قوي المعرفة، مستبحرا في الآداب بارعا فيها ، صاحب لواء التاريخ بالأندلس، أفصح الناس فيه، وأحسنهـــم نظمـــا له [80].

نشا ابن حيان نشأة علمية ، حيث تلقى علوما في الحديث و الأدب و اللغة ، على يد أبي عمر بن أبي الحباب النحوي صديق أبي علي القالي ، كما درس الأدب على الأديب أبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي ، و اخذ عنه كتاب الفصوص ، و اخذ الحديث عن العلامة أبي حفص عمر بن حسين بن نايل و غيرهم[81].

و برع ابن حيان في التاريخ و الأدب ، مما هيا له مكانا عاليا في الدلو العامرية ، حيث انتظم في سلك وظائفها ، فشغل وظيفة صاحب شرطة ، أو صاحب المدينة لفترة من الزمن ، و نظرا لبراعة ابن حيان في التاريخ و جودة إنشائه و أسلوبه في الكتابة التاريخية ، فقد عين في وظيفة علمية تقوم على إملاء التاريخ في ديوان الرئيس أبي الوليد محمد بن جهور بمرتب كبير[82].

و تتجلى مكانة ابن حيان التاريخية ، فيما خلفه من دراسات تاريخية نفيسة ، تأتي في مقدمتها كتابه المقتبس ، الذي يشتمل على تاريخ الأندلس من الفتح العربي الإسلامي ، حتى وقت قريب من عصر المؤلف ، و يقع في عشرة أجزاء ، وكتاب المتين في تاريخ الأندلس و يقع في ستين مجلدا ، و هو يشتمل على عصر ابن حيان كله ، أي ابتداء من الفتنة البربرية سنة 399هـ/1011م ، وينتهي قبل وفاته بسنوات قليلة نحو سنة 463ه/1078مـ و من ثمة كان كتاب المتين حصيلة متابعة و حصاد معايشة ،وثمرة شهادة ، فسجل ابن حيان فيه كل شؤون الأندلس، السياسية و الحربية ، و الاجتماعية و الثقافية و الأدبية ، مع ترجمة وافية لأهم معاصريه من العلماء و الحكماء ، و الأدباء و الوزراء و القراء، وقد رصع كتابه هذا بمقطوعات من النثر الرفيع ، وقصائد من الشعر البديع[83].

ولان حيان كتاب أخبار الدولة العامرية و هو كتاب ضخم ، يتحدث فيه عن الدولة لعامرية من ظهروها حتى نهايتها 366-399ه/978-1011م ـ ، وقد كان أبوه كاتبها ، و في ظلها نشا وتربى ابن حيان ، و كان رفيق الدراسة لثاني أمرائها المظفر عبد الملك ، ذاكرا ما شاهده من أحوال تلك الدولة ، قد مكن له من كتابة تاريخ دقيق رحيب للعامرين ودولتهم[84].

ولابن حيان كتاب آخر يسمى البطشة الكبرى، ويقع في مجلد كبير، وموضوعه هو بطش المعتمد بن عباد بعيد الملك بن جهور، آخر ملوك الأسرة الجهورية، من حكام قرطبة زمن الطوائف، ولما كان استيلاء المعتمد على قرطبة عام 462ه/1078م، فان ابن حيان يكون قد ألف هذا الكتاب وهو في الخامسة والثمانين من عمره، وهو على الأرجح آخر ما خطه ابن حيان من كتب[85].

ج/* ابن حزم ت 456هـ/1072م : و في القرن 5هـ، ازدهرت الدراسات التاريخية ازدهارا كبيرا ، و ظهر في الأندلس مؤرخون كبار ، و من هؤلاء العلامة الكبير ابن حزم الظاهري ت 456هـ /1072م، و قد اظهر في ميدان البحث التاريخي مقدرة كبيرة و رؤية عميقة ، فلقد كانت له نظرات فلسفية في تحدي الغايات ، من وراء دراسة التاريخ ، كالتزهيد في متاع الدنيا ، و إتباع القدوة الحسنة ، و العبرة بالفناء ، و تمييز الصواب من الخطأ في الأخبار ، و إمتاع النفس باطلاعها على أخبار الأمم الماضية ، و للتاريخ عنده أهمية بالغة في بناء شخصية الإنسان من الناحية الأخلاقية و النفسية.[86]

و شخصية ابن حزم تستند إلى روافد علمية ، فلقد كان واسع الاطلاع على المصنفات التاريخية السابقة ، و مناهج أصحابها ، كما انه درس التوراة و الإنجيل ، هذا بالإضافة إلى دراساته المتعددة لتواريخ عصره ، و لاء العلماء و الشيوخ ، و ما جناه من تجارب و مشاهدات شخصية ، بان حياته في الدولة الأموية ، وبعد توليته الوزارة ،ثم بعد وال سلطان بني أمية ، و انتقاله في بعض مناطق الأندلس المختلفة ، كل هذا اكسبه حصيلة علمية ، مع تمتعه بالذكاء الحاد و البصيرة النافذة ، و تلك خاصيتان هما أهم ما يحتاج إليهما المؤرخ ، وهما القدرة على التصور الصحيح ، و النقد الدقيق[87].

ومن ابرز إسهامات ابن حزم الظاهري في التأليف التاريخي ، كتابه جمهرة انساب العرب، الذي وُصف بناه أوسع كتب الأنساب و اشملها مع الإيجاز ، و أشهر ما ألف ابن حزم في التاريخ وأعظمه قيمة هو كتاب الفصل في الأهواء و الملل و النحل ، وهو تاريخ نقدي للأديان و الفرق عل اختلاف مذاهبها ،كالسفسطائيين الملحدين مرورا بالنصارى ثم اليهود ثم الفرق الإسلامية و معتقداتها المختلفة ، ثم جوانب من سير الأنبياء عليهم السلام ، ليختتم حديثه عن قضايا متعددة في الحياة و الفلسفة و العلم[88].

و لابن حزم أثار أخرى منها عدد من الرسائل التاريخية ، جمعها و حققها إحسان عباس، في كتاب سماه رسائل ابن حزم الظاهري ، وهذه المجموعة تظم الرسائل التالية [89]:

-رسالة في أمهات الخلفاء- رسالة في أسماء الخلفاء.

-رسالة في فضل الأندلس و ذكر رجالها رسالة في ذكر أوقات الأمراء و أيامهم في الأندلس.

-فضل في ذكر أوقات الحكام من بني إسرائيل.

-شذرات من روايات تاريخية.

واهم هذه الرسائل هي الرسالة الأولى ، وتتضمن تناقضا بين اهتمام ابن حزم بالألقاب و كراهيته لها ، و تشتمل الرسالة على معلومات مختلفة خارجة عن عنوان الرسالة ،و رسالته الخامسة في فضل الأندلس و هي ذات قيمة كبيرة ، و قد أوردها المقري في كتابه نفح الطيب ، وتعد هذه الرسالة ثبتا مما أنتجه كثير من علماء الأندلس في شتى حقول المعرفة ، و لو أن ابن حزم غفل الكثير من العلماء المبدعين ، فلم يتطرق إلى إنتاجهم العلمي ، ولعل هذا ما حذى بابن سعيد المغربي ت 658هـ/1274م إلى تذييلها برسالة أخرى ، استدرك فيها ما فات ابن حزم من علماء عصره ، و أضاف إلى ذلك ما تلي عصر ابن حزم ، من كبار العلماء و أشهرهم[90].

ويعتبر ابن حزم من اكبر علماء الأندلس قاطبة في ميدان التصنيف و التأليف في أبواب العلم المختلفة ، فقد أثرى المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب و روائع المؤلفات[91].

و من العلماء الذي نبغوا في القرن 5ه/11م في بعض العلوم ومنها التاريخ ، العلامة الكبير صاعد بن احمد بن عبد الرحمان بن صاعد الأندلسي التغلبي ، أبو القاسم أصله من قرطبة ، ومولده بالمرية سنة 420هـ /1032م، عرف بمهاراته الواسعة في أكثر من علم ، فاخذ علوم علومه عن علوم عصره من أبرزهم ابن حزم ، و قد كان بارعا في علوم الدين ، فلقد استقضاه ملك طليطلة المأمون من ذي النون على قضاء مدينته ، و ظل قاضيا عليها إلى أن توفي سنة462هـ/1078م[92].

و شهرة القاضي صاعد الطليطلي كانت نابعة من مصنفه القيم في التاريخ المسمى :" طبقات الأمم " ، و هذا الكتاب يعد من ذخائر الفكر التاريخي الأندلسي ، فمؤلفه صاعد الأندلسي استطاع ببصيرته النافذة ، و نظرته العميقة في تراث الفكر العالمي ، أن يجمع في كتابه ذلك على صغر حجمه ، ألوانا من ذلك التراث ، مشيرا إلى العديد من الأمم ، وطبائعها و سماتها و جهودها في رقي العلوم القديمة ، فتحدث عن الفرس و الكلدانيين ، و اليونان و الورم ، و السريان و القبط ، و الهنود و الصينيين ، و العرب في جاهليتهم ثم في الإسلام ، حتى يخلص إلى أهل بلده الأندلس، فيعرض لأبرزهم في علوم الأوائل ، و ما قدموه في هذه العلوم[93].

و ميزة هذا المؤرخ انه يعتبر كأول من حاول أن يؤرخ للعلوم بمعزل عن التاريخ العام ، و لهذا يعتبر كتابه طبقات الأمم ، أهم مصنف في تاريخ العلوم و ضعه العرب في العصور الوسطى ، ويؤكد ذلك ان مشاهير مؤرخي العلوم ، أمثال ابن أبي صبيع السوري و القفطي المصري و المؤرخ النصراني ابن العبري قد اعتمدوا أخباره في مصنفاتهم[94].

و قد أتى جاينجوس على الجزء الذي تحدث فيه صاعد عن اليونان و الرومان ، و ما تم في عصريهما من نشاط علمي ، و ابرز العلماء آنذاك ، لكونه صادرا عن مؤرخ عربي منصف ، و فيه ما يدل على ما عرفه العرب من علوم اليونان و الرومان[95].

ولصاعد كتب أخرى في التاريخ منها : جوامع أخبار الأمم من العرب و العجم ، و مقالات أهل النحل و الملل ، و صوان الحكم في طبقات الحكماء ، و تاريخ الأندلس ، وتاريخ الإسلام[96].

خاتمـــــــــة : من خلال ما سبق يمكن الخروج بالنتائج التالية :

-إن تنوع الكتابة التاريخية في الأندلس ، واختلاف طرق المعالجة للأحداث التاريخية ، سمح للدارسين في حقل الدراسات التاريخية الوسيطة للغرب الإسلامي من معرفة الدور الذي قدمه مؤرخو الأندلس مابين القرن 4-5هـ/10-11م لحقل الدراسات المعرفية ، فتحت مجال البحث في التنقيب عن التراث الحضاري.

-ساهم رجال الدولة في حركية التدوين التاريخي ، من خلال التشجيع المادي ، و تفعيل الرحلات العلمية ، و تطوير حرفة النسخ و الوراقة ، ومن أشهرهم : الناصر و المستنصر و ابن عباد ، وغيرهم كثير ممن أثرى الحركة العلمية التاريخية في حواضر ومدن الأندلس.

-لقد أنجبت المدرسة التاريخية الأندلسية خلال الفترة -المذكورة سابقا- مؤرخين زاوجوا بين عدة معارف من خلال التدوين و التقصي عن الحقائق التاريخية سواء كانت محلية أو إقليمية أو عالمية ،كما اختلفت مناهجهم و أساليبهم في ذلك.

-امتاز مؤرخو الأندلس بالبصيرة الناقدة ، وبالمنهج السليم ، وكان على رأسهم ابن حزم الظاهري ، الذي شكَّل مدرسة تعتمد على منهج الحجاج و المقارنة من خلال التأصيل التاريخي، وكذا الجمع بين النقل و العقل ، بل أصبحت مؤلفاته من أهم المصادر التي يعتمد عليها في البحث عن الأنساب و التربية و التعليم ، الفقه ، و التاريخ.

-لقد شمل التأثير الحضاري أوربا عبر بوابة الأندلس ، حيث اعتبر البعض أن لولا الأندلس ما شهدت أوربا نهضة علمية و إنسانية تغنت بها خلال القرن 9هـ/15م ، ولولا رجالات الأندلس ما كان هناك محاولات ومجالات واسعة في البحث عن التراث النقلي و العقلي في الدراسات الحديثة.

الهوامش:

[1] حسين مؤنس ، التاريخ و المؤرخون (دراسة في علم التاريخ ومدخل الى فقه التاريخ)، دار الرشاد ، القاهرة، 2001م، ص13. محمد الأمين بلغيث ، الحياة الفكرية ،بالأندلس في عصر المرابطين (جزئين)، (أطروحة دكتوراه دولة منشورة)، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004/2003م. ص370-371.

[2] خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الأندلس (أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية)، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف ، القاهرة ،1977م، ص 64.

[3] يوسف أحمد يوسف بني ياسين ، علم التاريخ حتى نهاية القرن 4 هـ/10م ، ط1، مؤسسة حمادة للدراست الجامعية و النشر و التوزيع ، الأردن ، 2002م، 223.

[4] راجع: محمود إسماعيل، الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، ط1، منشورات الزمن، المغرب،2008م، ص 40. أنور محمد زناتي ، العلم و التعليم بالأندلس (بحث مقدم لمسابقة مؤسسة النور للإبداع في مجال البحوث و الدراسات)، 2008م، ص16.

[5] زهرة إبراهيم الضاوي ، التدوين التاريخي بالأندلس و تطوره خلال فترة الحكم الأموي (138-422هـ/755-1030م) ، دراسة مقدمة استكمالا لمتطلبات الإجازة العليا (الماجستير) في التاريخ الوسيط ، إشراف أ.د.بشير رمضان التليسي ، قسم التاريخ ، الدراسات العليا ، كلية الآداب و العلوم ، زليتن جامعة المرقب، ليبيا ، 2006-2007م، ص83.

[6] بلغيث ، المرجع السابق، ص372.

[7] زهرة إبراهيم ، المرجع السابق، ص82-83.

[8] هو محمد بن موسى بن بشير بن حماد بن لقيط الرازي الكناني ، أصله من الري ، وغلبت عليه وعلى أبنائه كنية الرازي ، وهي نسبة للري على غير القياس ، انظر ترجمته في : ، ج ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف ، مصر ،1966م، ج1، ص 54 المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق حسين مؤنس ، دار صادر ، بيروت ،1988م. ، ج3 ، ص 111.

[9] محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص297. يوسف أحمد يوسف ، المرجع السابق، ص154-155. أنجل بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، تعريب حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، دت 196.

[10] ك. بويكا ، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، دار علاء الدين ، دمشق ، 1999م ، ص 62.

[11] أنظر ، محمود إسماعيل ،المرجع السابق ، ص 297- 298.

[12] يوسف أحمد يوسف، المرجع السابق، ص 155.

[13] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، طبع القاهرة، 1955م، ج1، ص62.

[14] بالنثيا ، المرجع السابق، ص197.

[15] قمان كمال ، الحياة العلمية في الأندلس خلال القرنين 4-5هـ/10-11م ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، إشراف.أ.د خالد كبير علال ، قسم التاريخ و الجغرافيا ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ، الجزائر ، 1437-1438هـ/2016-2017م، ص194.

[16] المقري ، المصدر السابق، ج3، ص173. بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 197. قمان ، المرجع السابق ، ص 194.

[17] محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول و الثالث للهجرة / السابع و التاسع ميلادي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الغرب الإسلامي، إشراف أ.د. معروف بلحاج ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 1436-1437هـ/2015-2016م 396.

[18] قمان ، المرجع السابق، ص195. طه ذا النون، ،نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 1988م، ص27.

[19] يوسف أحمد، المرجع السابق، ص164، 189.

[20] محمد عليلي ، المرجع السابق ، ص396.

[21] ابن حيان : المقتبس في أنباء رجال الأندلس ،(تحقيق مكي) ، بيروت ، 1973م ، ص25.

[22] نفس المصدر، (تحقيق مكي) ، ص 39 .

[23] نفس المصدر (تحقيق مكي) ، ص 176

[24] يوسف أحمد ، المرجع السابق، ص162-163.

[25] محمد عليلي ، المرجع السابق ، ص397.

[26] الذيل والتكملة : ج5 ، ق2 ، ص 491.

[27] انظر : ابن حيان ، المقتبس(تحقيق مكي) ، ص 329

[28] زناتي ، المرجع السابق، ص21.

[29] يوسف أحمد، المرجع السابق، ص17.

[30] قلعة أيوب (Caltayud) مدينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس بالثغر، وكذا ينسب إليها فيقال: ثغري من أعمال سرقسطة بقعتها كثيرة الأشجار، والأنهار والمزارع، ولها عدة حصون وهي بقرب مدينة سالم وبينها وبين دروقة ثمانية عشر ميلا. راجع : ياقوت : معجم البلدان، ج4 ، ص 390.

[31] المقتبس (تحق :شالميتا) : ص 398 ، ومقتبس (تحق : مكي)، ص 349 ، 373.

[32] المقتبس ابن حيان ، المقتبس ، (تحق : شالميتا) ، ص 305 ، 312 ، 413 وما يليها.

[33] ابن الفرضي ، المصدر السابق، ترجمة ص355.

[34] بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 203 . قمان كمال ، المرجع السابق ، ص193.

[35] يوسف ، المرجع السابق، ص259.

[36] زهرة ابراهيم ، المرجع السابق ، ص116-117

[37] بالنثيا ، المرجع السابق، ص109

[38] يوسف أحمد يوسف ، المرجع السابق ، ص 241.

[39] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 54 ، 99 ،

[40] أنظر ، محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص .298

[41] زهرة إبراهيم ، المرجع السابق، ص117.

[42] نفس المرجع، ص83.

[43] نفس المرجع، ص84.

[44] يوسف أحمد يوسف ، المرجع السابق، ص256.

[45] نفس المرجع ، ص256.

[46] نفس المرجع ، ص84.

[47] نفس المرجع ، ص85.

[48] نفس المرجع ، ص85.

[49] زهرة ابراهيم ، المرجع السابق، ص85-86.

[50] القوط : أحد الجماعات الجرمانية جاؤوا من اسكندناوة ، وقد انقسموا إلى قسمين شقيين وغربيين ، فاستقر الشرقيون في سهول روسيا ، بينما الغربيون في أقاليم الدولة الرومانية والبلقان ، هاجروا بسب ازدحام السكان ، وقلة الإنتاج الزراعي بالنسبة لعددهم ، أول زعمائهم آلاريك ، انتصر عليها المسلمون في معركة شذونة (لكة) .لمزيد عن القوط راجع: المقري، نفح الطيب ، ج 1 ، ص 138 . حسين مؤنس، فجر الأندلس ، ، ص13-16.سعيد عبد الفتاح عاشور ، حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى ،دار النهضة العربية ،(د.ت) ،ص386.علي طرخان ، دولة القوط الغربيين ،(د.ط) ،القاهرة ،1958م،ص21-22. غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، تر: عادل زعتر، ط3 ، دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة 1956م، ص284. أشرف يعقوب أحمد = أشتيوي، الأندلس في عصر الولاة (91هـ- 138هـ /711م-56م) ، إشراف: د. هشام أبو رميلة (مذكرة لنيل شهادة الماجستير بكلية الآداب العليا) ، جامعة إنجاح الوطنية ، نابلس ، نوقشت بتاريخ 2004/02/29م، ص 31.

[51] زهرة ابراهيم ، المرجع السابق ، ص101.

[52] نفس المرجع ، ص102.

[53] نفس المرجع ، ص103.

[54] نفس المرجع ، ص104.

[55] نفس المرجع ، ص104.

[56] يوسف أحمد يوسف ، المرجع السابق، ص259.

[57] نفس المرجع ، ص360.

[58] نفس المرجع ، ص267-270.

[59] زهرة إبراهيم ، المرجع السابق، ص118.

[60] بالنثيا ، المرجع السابق، ص267-270.

[61] راجع مقدمة تحقيق كتاب قضاة الأندلس.

[62] زهرة إبراهيم ، المرجع السابق، ص 118-119.

[63] نفس المرجع، ص119.

[64] نفس المرجع ، ص381-382.

[65] نفس المرجع ، ص381-382.

[66] ابن خاقان: مطمح الأنفس. تحقيق مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2001م، ص142.

[67] انظر كتاب تاريخ العلماء لابن الفرضي (مقدمة الكتاب).

[68] راجع ، ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عزت العطار الحسيني ، طبع القاهرة ، 1955 م

[69] زهرة إبراهيم ، المرجع السابق، ص120. زناتي ، المرجع السابق ، ص25. راجع : أبو الوليد الباجي، التعديل والتجريح ، ج1 ، ص273 ، ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ،ج1 ، ص9 ، بويكا ، المرجع السابق ، ص 222 .

[70] زهرة إبراهيم ، المرجع السابق ، ص121.

[71] نفس المرجع ، ص121.

[72] نفس المرجع، ص106.

[73] يوسف أحد يوسف ، المرجع السابق، ص92-93

[74] محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص378.

[75] نفس المرجع ، ص374-375.

[76] نفس المرجع، ص375

[77] بالنثيا ، المرجع السابق، ص206.

[78] نفس المرجع ، ص206.

[79] وقد نشره المستشرق دي غويه في ليدن سنة 1897 بعنوان : صلة تاريخ الطبري ، وأعاد محمد أبو الفضل إبراهيم تحقيقه ونشره في دار المعارف بالقاهرة ، ضمن ذيول تاريخ الطبري سنة 1977 .

[80] قمان ، المرجع السابق، ص198. ابن بشكوال ، المصدر السابق،ص138.

[81] محمد عبد الله عنان ، تراجم مشرقية و أندلسية ، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة ،1970م، ص271.قمان ، المرجع السابق، ص198.

[82] قمان ، المرجع السابق، ص199.

[83] بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ص210-211.

[84] المقري ، المصدر السابق، ج1،ص399. قمان ، المرجع السابق، ص199.

[85] قمان ، المرجع السابق، ص200.

[86] ابن حزم ، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ،1987 ، ج2، ص9-10. البشري صالح ، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ،ط1، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، الرياض ، 1993، ص383. قمان، المرجع السابق، ص195.

[87] ابن حزم ، المصدر السابق ، ص10.

[88] بالنثيا ، المرجع السابق، ص 214-215.

[89] قمان ، المرجع السابق، ص196.

[90] المقري، المصدر السابق، ج3، ص156.

[91] قمان ، المرجع السابق، ص197.

[92] نفس المرجع ، ص197.

[93] نفس المرجع ، ص198.

[94] نفس المرجع، ص198.

[95] بالنثيا ، المرجع السابق، ص240.

[96] تذكر المصادر أن له كتابا آخر يسمى تاريخ صاعد . انظر : قمان ، المرجع السابق، ص198.